وعن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه أنه سئل عن الأب فقال: أي سماء تظلني، وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله ما لا علم لي به[1]. وعن عمر رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية فقال: كل هذا قد عرفنا، فما الأب؟ ثم رفض عصًا كانت بيده وقال: هذا لعمر الله التكلف، وما عليك يا ابن أمّ عمر أن لا تدري ما الأب. ثم قال: اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب ومالاً فدعوه[2].

فإن قُلْتَ: فهذا يشبه النهي عن تتبع معاني القرآن والبحث عن مشكلاته. **قُلْتُ:** لم يذهب إلى ذلك، ولكن القوم كانت أكبر همتهم عاكفة على العمل وكان التشاغل بشيء من العلم لا يعمل به تكلفًا عندهم.

وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾.

فأراد أنّ الآية مسوقة في الامتنان على الإنسان بمطعمه واستدعاء شكر وقد علم من فحوى الآية أنّ الأب بعض ما أنبته الله للإنسان متاعًا له أو لإنعامه فعليك بما هو أهم من النهوض بالشكر لله على ما تبين لك. ولم يشكل مما عدّد من نعمه ولا تتشاغل عنه بطلب معنى الأب ومعرفة النبات الخاص الذي هو اسم له واكتفِ بالمعرفة الجملية إلى أن يتبين لك في غير هذا الوقت. ثم وصى الناس بأن يجرو على هذا السنن فيما أشبه ذلك من مشكلات القرآن.

فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾.

يقال: صخّ لحديثه مثل أصاخ له فوصفت النفخة بالصاخة مجازًا لأنّ الناس يصخون لها.

يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾.

﴿يفرّ﴾ منهم لاشتغاله بما هو مدفوع إليه ولعلمه أنهم لا يغنون عنه شيئًا، وبدأ بالأخ ثم بالأبوين لأنهما أقرب منه، ثم بالصاحبة والبنين لأنهم أقرب وأحب. كأنه قال: يفرّ من أخيه بل من أبويه بل من صاحبته وبنيه. وقيل: يفرّ منهم حذرًا من مطالبتهم بالتبعات. يقول الأخ لم تواسني بمالك، والأبوان قصرت في برنا، والصاحبة أطعمتني الحرام وفعلت وصنعت، والبنون لم تعلمنا ولم ترشدنا. وقيل أوّل من يفر من أخيه هانيل، ومن أبويه إبراهيم، ومن صاحبته نوح ولوط، ومن ابنه نوح.

لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾.

﴿يغنيه﴾ يكفيه في الاهتمام به وقرئ بعينه أي: يهمه.

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾.

﴿مسفرة﴾ مضيئة متهللة من أسفر الصبح إذا أضاء.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: من قيام الليل، لما روي في الحديث: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار»[3]. وعن الضحاك: من آثار الوضوء. وقيل: من طول ما أغبرت في سبيل الله.

وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾.

﴿غبرة﴾ غبار يعلوها.

تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾.

﴿قترة﴾ سواد كالدخان، ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما ترى من وجوه الزنوج إذا اغبرت، وكأن الله عز وجل يجمع إلى سواد وجوههم الغبر.

أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾.

كما جمعوا الفجور إلى الكفر، عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة عبس وتولى جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر»[4].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سورة التكوير مكية

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾.

في التكوير وجهان: أن يكون من كوّرت العمامة إذا لففتها أي: يلف ضوءها لفًا فيذهب انبساطه وانتشاره في الآفاق، وهو عبارة عن إزالتها والذهاب بها لأنها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطًا غير ملفوف. أو يكون لفها عبارة عن رفعها وسترها لأنّ الثواب إذا أريد رفعه لف وطوى. ونحوه قوله: يوم نطوي السماء، وأن يكون من طعنه فجوره وكوّره إذا ألقاه أي: تلقى وتطرح عن فلكها كما وصفت النجوم بالانكدار.

فإن قُلْتَ: ارتفاع الشمس على الابتداء أو الفاعلية! **قُلْتُ:** بل على الفاعلية رافعها فعل مضمر يفسره كوّرت، لأنّ إذا يطلب الفعل لما فيه من معنى الشرط.

وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾.

﴿انكدرت﴾ انقضت. قال: أبصر خربان فضاء فانكدر. ويروى في الشمس والنجوم أنها تطرح في جهنم ليراها من عبدها. كما قال: ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾.

وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾.

---

(1) أخرجه ابن أبي شيبة 512/10، كتاب: فضائل القرآن، باب: من كره أن يفسر القرآن.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك 514/2.

(3) تقدم في سورة الفتح.

(4) ذكره الثعلبي والواحدي وابن مردويه في تفاسيرهم، زيلعي: 4/ 159.

﴿سيرت﴾ أي: على وجه الأرض وأبعدت، أو سيرت في الجو تسيير السحاب. كقوله: ﴿وهي تمرّ مرّ السحاب﴾[1] والعشار في جمع عشراء كالنفاس في جمع نفساء، وهي التي أتى على حملها عشرة أشهر. ثم هو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة وهي أنفس ما تكون عند أهلها وأعزها عليهم.

وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾.

﴿عطلت﴾ تركت مسيبة مهملة، وقيل: عطلها أهلها عن الحلب والصر لاشتغالهم بأنفسهم. وقرئ: عطلت بالتخفيف.

وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾.

﴿حشرت﴾ جمعت من كل ناحية. قال قتادة: يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص، وقيل: إذا قضى بينها ردّت ترابًا فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبني آدم وإعجاب بصورته كالطاوس ونحوه. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: حشرها: موتها. يقال: إذا أجحفت السنة بالناس وأموالهم، حشرتهم السنة. وقرئ: حشرت بالتشديد.

وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾.

﴿سجرت﴾ قرئ: بالتخفيف والتشديد، من سجر التنور إذا ملأه بالحطب، أي: ملئت وفجر بعضها إلى بعض حتى تعود بحرًا واحدًا. وقيل: ملئت نيرانًا تضطرم لتعذيب أهل النار. وعن الحسن: يذهب ماؤها فلا تبقى فيها قطرة.

وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾.

﴿زوّجت﴾ قرنت كل نفس بشكلها، وقيل: قرنت الأرواح بالأجساد، وقيل: بكتبها وأعمالها. وعن الحسن: هو كقوله: ﴿وكنتم أزواجًا ثلاثة﴾[2] وقيل: نفوس المؤمنين بالحور، ونفوس الكافرين بالشياطين.

وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾.

وإذ يئد مقلوب من آد يؤد، إذا أثقل، قال الله تعالى: ﴿ولا يؤوده حفظهما﴾[3] لأنه إثقال بالتراب، كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية، وإن أراد قتلها تركها حتى إذا كانت سداسية فيقول لأمها: طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها. وقد حفر لها بئرًا في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها: انظري فيها، ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى تستوي البئر بالأرض. وقيل: كانت الحامل إذا أقربت حفرت حفرةً فتمخضت على رأس الحفرة، فإذا ولدت بنتًا رمت بها في الحفرة، وإن ولدت ابنًا حبسته.

فإن قُلْتَ: ما حملهم على وأد البنات؟ **قُلْتُ:** الخوف من لحوق العار بهم من أجلهنّ، أو الخوف من الإملاق كما قال الله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾[4] وكانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به فهو أحق بهنّ، وصعصعة ابن ناجية ممن منع الوأد، فبه افتخر الفرزدق في قوله:

ومنا الذي منع الوائدت ... فأحيا الوئيد فلم توأد

فإن قُلْتَ:

بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾.

فما معنى سؤال الموؤدة عن ذنبها الذي قتلت به. وهلا سئل الوائد عن موجب قتله لها. **قُلْتُ:** سؤالها وجوابها تبكيت لقاتلها نحو التبكيت في قوله تعالى لعيسى: ﴿أأنت قلت للناس﴾ إلى قوله: ﴿سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق﴾. وقرئ: سألت أي: خاصمت عن نفسها وسألت الله أو قاتلها. إنما قيل: قتلت بناءً على أن الكلام إخبار عنها، ولو حكى ما خوطبت به حين سئلت. فقيل: قتلت. أو كلامها حين سئلت لقيل: قتلت. وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما: قتلت على الحكاية. وقرئ: قتلت بالتشديد، وفيه دليل بيِّن على أن الأطفال المشركين لا يعذبون، وعلى أن التعذيب لا يستحق إلا بالذنب، وإذا بكّت الله الكافر ببراءة الموؤدة من الذنب فما أقبح به وهو الذي لا يظلم مثقال ذرّة أن يكرّ عليها بعد هذا التبكيت فيفعل بها ما تنسى عنده فعل المبكت من العذاب الشديد السرمد. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه سئل عن ذلك فاحتجّ بهذه الآية.

وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾.

﴿نشرت﴾ قرئ: بالتخفيف والتشديد، يريد صحف الأعمال. تطوى صحيفة الإنسان عند موته ثم تنشر إذا حوسب. عن قتادة: صحيفتك يا ابن آدم تطوى على عملك ثم تنشر يوم القيامة، فلينظر رجل ما يملي في صحيفته، وعن عمر رضي الله عنه: أنه كان إذا قرأها قال: إليك يساق الأمر يا ابن آدم. وعن النبي ﷺ أنه قال: «يحشر الناس عراة حفاة». فقالت أمّ سلمة: كيف بالنساء؟ فقال: «شغل الناس يا أمّ سلمة». قالت: وما شغلهم؟ قال: «نشر الصحف فيها مثاقيل الذرّ ومثاقيل الخردل»[5]. ويجوز أن يراد نشرت بين أصحابها. أي: فرقت بينهم. وعن مرثد بن وداعة: إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية، وتقع

---

(1) سورة النمل، الآية: 88.
(2) سورة الواقعة، الآية: 7.
(3) سورة البقرة، الآية: 255.
(4) سورة الإسراء، الآية: 31.
(5) أخرجه الثعلبي وأصله في الصحيحين، أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء (8)، وأخرجه مسلم في كتاب: صفات الجنة ونعيمها 56، 59.

صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم. أي مكتوب فيها ذلك. وهي صحف غير صحف الأعمال.

وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾.

﴿كشطت﴾ كشفت وأزيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء. وقرأ ابن مسعود: كشطت، واعتقاب الكاف والقاف كثير. يقال: لبكت الثريد ولبقته والكافور والقافور.

وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾.

﴿سعرت﴾ أوقدت إيقادًا شديدًا، وقرئ: سعرت بالتشديد للمبالغة، قيل: سعرها غضب الله تعالى وخطايا بني آدم.

وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾.

﴿أزلفت﴾ أدنيت من المتقين. كقوله تعالى: ﴿وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد﴾[1] قيل: هذه اثنتا عشرة خصلة ستّ منها في الدنيا وست في الآخرة. وعلمت هو عامل النصب في إذا الشمس كورت وفيما عطف عليه.

عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾.

فإن قُلْتَ: كل نفس تعلم ما أحضرت كقوله: ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرًا﴾[2] لا نفس واحدة، فما معنى قوله: ﴿علمت نفس﴾؟ **قُلْتُ:** هو من عكس كلامهم الذي يقصدون به الإفراط فيما يعكس عنه. ومنه قوله عز وجل: ﴿ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين﴾[3] ومعناه معنى كم وأبلغ منه وقول القائل:

قد أترك القرن مصفرًا أنامله

وتقول لبعض قواد العساكر: كم عندك من الفرسان؟ فيقول: رب فارس عندي، أو لا تعدم عندي فارسًا، وعنده المقانب. وقصده بذلك التمادي في تكثير فرسانه ولكنه أراد إظهار براءته من التزيد وأنه ممن يقلل كثير ما عنده فضلاً أن يتزيد فجاء بلفظ التقليل ففهم منه معنى الكثرة على الصحة واليقين. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنّ قارئًا قرأها عنده فلما بلغ علمت نفس ما أحضرت قال: وانقطاع ظهر ياء.

فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾.

﴿الخنس﴾ الرواجع، بينا ترى النجم في آخر البرج إذا كر راجعًا إلى أوله.

ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾.

و﴿الجواري﴾ السيارة. و﴿الكنس﴾ الغيب من كنس الوحشي إذا دخل كناسه، قيل: هي الدراري الخمسة بهرام وزحل وعطارد والزهرة والمشتري تجري مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس. فخنوسها رجوعها، وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس. وقيل: هي جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل. أي: تطلع في أماكنها كالوحش في كنسها.

وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾.

عسعس الليل وسعسع إذا أدبر. قال العجاج:

حتى إذا الصبح لها تنفسا ... وانجاب عنها ليلها وعسعسا

وقيل: عسعس إذا أقبل ظلامه.

إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾.

فإن قُلْتَ: ما معنى تنفس الصبح؟ **قُلْتُ:** إذا أقبل الصبح أقبل بإقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفسًا له على المجاز. وقيل: تنفس الصبح. ﴿إنه﴾ الضمير للقرآن ﴿لقول رسول كريم﴾ هو جبريل صلوات الله عليه. ﴿ذي قوّة﴾ كقوله تعالى: ﴿شديد القوى ذو مرة﴾[4] لما كانت حال المكانة على حسب حال الممكن. قال: ﴿عند ذي العرش﴾[5] ليدل على عظم منزلته ومكانته. ﴿ثم﴾ إشارة

---

(1) سورة الشعراء، الآية: 90.

(2) سورة آل عمران، الآية: 30.

(3) سورة الحجر، الآية: 2.

(4) سورة النجم، الآيتان: 5 ـ 6.

(5) قال أحمد: ما كان جبريل صلوات الله عليه يرضى منه هذا التفسير المنطوي على التقصير في حق البشير النذير عليه أفضل الصلاة والسلام، ولقد اتبع الزمخشري هواه في تمهيد أصول مذهبه الفاسد، فأخطأ على الأصل والفرع جميعاً، ونحن نبين ذلك بحول الله وقوّته فنقول أولاً: اختلف أهل التفسير فذهب منهم الجم الغفير إلى أن المراد بالرسول الكريم ههنا إلى آخر النعوت: محمد ﷺ، فإن يكن كذلك والله أعلم، فلذلك فضل الله المعتاد على نبيه، وإن كان المراد جبريل عليه السلام، فقد اختلف الناس في المفاضلة بين الملائكة والرسل، والمشهور عن أبي الحسن تفضيل الرسل، ومذهب المعتزلة تفضيل الملائكة، إلا أن المختلفين أجمعوا على أنه لا يسوغ تفضيل أحد القبيلين الجليلين بما يتضمن تنقيص معين من الملائكة ومعين من الرسل؛ لأنّ= = التفضيل وإن كان ثابتاً إلا أن في التعيين إيذاء للمفضول، وعليه حمل الحذاق قوله ﷺ: «لا تفضلوني على يونس بن متى»، أي: لا تعينوا مفضولاً على التخصيص؛ لأنّ التفضيل على التعميم ثابت بإجماع المسلمين، أي: تفضيل النبي ﷺ على النبيين أجمعين، وكان جدي رحمه الله يوضح ذلك بمثال فيقول: لو قلت بحضرة جماعة من الفقهاء: فلان أفضل أهل عصره، لكان في الجماعة احتمال لهذا التفضيل، وإن لزم اندراجهم في المفضولين، ولو عنيت واحداً منهم وقلت: فلان أفضل منك وأتقى لله، لأسرع به الأذى إلى بغضك، وإذا تقرّر لك أنه لا يلزم من اعتقاد التفضيل على التعميم جواز إطلاق التفضيل على التخصيص، علمت أنّ الزمخشري أخطأ على أصله؛ لأنه بتقدير أن تكون الملائكة أفضل كما يعتقد لا يجوز أن يقال عن أحد من الملائكة على التخصيص أنه أفضل من أحد الأنبياء على التخصيص، لا سيما في سيد ولد آدم عليه أفضل الصلاة والسلام، ثم يعود الكلام على الآية بعد تسليم أن المراد جبريل، وبعد أن نكله في تعيينه النبي ﷺ مفضولاً إلى الله، فنقول: لم يذكر فيها نعت إلا وللنبي ﷺ مثله=

إلى الظرف المذكور، أعني عند ذي العرش على أنه عند الله مطاع في ملائكته المقرّبين يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه.

مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾.

وقرئ*: ﴿ثم﴾ تعظيمًا للأمانة وبيانًا لأنها أفضل صفاته المعدودة.

وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾.

﴿وما صاحبكم﴾ يعني: محمدًا ﷺ **﴿بمجنون﴾** كما تبهته الكفرة. وناهيك بهذا دليلاً على جلالة مكان جبريل عليه السلام وفضله على الملائكة، ومباينةً لمنزلة أفضل الإنس محمد ﷺ إذا وازنت بين الذكرين حين قرن بينهما وقايست بين قوله: ﴿إنه لقول رسول كريم ذي قوّة عند ذي العرش مكين مطاع ثمّ أمين﴾[1] وبين قوله: **﴿وما صاحبكم بمجنون * ولقد رآه﴾** ولقد رأى رسول الله ﷺ جبريل.

﴿بالأفق المبين﴾ بمطلع الشمس الأعلى.

وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾.

﴿وما هو﴾ وما محمد على ما يخبر به من الغيب من رؤية جبريل والوحي إليه وغير ذلك **﴿بظنين﴾** بمتهم، من الظنة وهي التهمة. وقرئ*: بضنين من الضنّ وهو البخل، أي: لا يبخل بالوحي فيزوي بعضه غير مبلغه، أو يسأل تعليمه فلا يعلمه. وهو في مصحف عبد الله بالظاء، وفي مصحف أبي بالضاد. وكان رسول الله ﷺ يقرأ بهما، وإتقان الفصل بين الضاد والظاء واجب ومعرفة مخرجيهما مما لا بد منه للقارئ فإنّ أكثر العجم لا يفرقون بين الحرفين وإن فرقوا ففرقا غير صواب، وبينهما بون بعيد فإن مخرج الضاد من أصل حافة اللسان وما يليها من الأضراس من يمين اللسان أو يساره. وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه أضبط يعمل بكلتا يديه وكان يخرج الضاد من جانبي لسانه وهي أحد الأحرف الشجرية أخت الجيم والشين، وأما الظاء فمخرجها من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا وهي أحد الأحرف النولقية أخت الذال والثاء، ولو استوى الحرفان لما ثبتت في هذه الحكمة قراءتان اثنتان واختلاف بين جبلين من جبال العلم والقراءة ولما اختلف المعنى والاشتقاق والتركيب.

فإن قُلْتَ: فإن وضع المصلي أحد الحرفين مكان صاحبه! **قُلْتُ:** هو كواضع الذال مكان الجيم والثاء مكان الشين لأنّ التفاوت بين الضاد والظاء كالتفاوت بين أخواتها.

وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾.

﴿وما هو﴾ وما القرآن **﴿بقول شيطان رجيم﴾** أي: بقول بعض المسترقة للسمع وبوحيهم إلى أوليائهم من الكهنة.

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾.

﴿فاين تذهبون﴾ استضلال لهم كما يقال لتارك الجادة اعتسافًا أو ذهابًا في بنيات الطريق أين تذهب مثلت حالهم بحاله في تركهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل.

لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾.

﴿لمن شاء منكم﴾ بدل من للعالمين وإنما أبدلوا منهم لأنّ الذين شاؤوا الاستقامة بالدخول في الإسلام هم المنتفعون بالذكر فكأنه لم يوعظ به غيرهم وإن كانوا موعظين جميعًا.

وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾.

﴿وما تشاؤون﴾ الاستقامة يا من يشاؤها إلا بتوفيق الله ولطفه، أو وما تشاؤنها أنتم يا من لا يشاؤها إلا بقسر الله وإلجائه، عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة إذا الشمس كورت أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته»[2].

= أولها رسول كريم، فقد قال في حقه ﷺ في آخر سورة الحاقة: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ وقد قيل أيضاً: أنّ المراد جبريل إلا أنه يأباه، قوله: ﴿وما هو بقول شاعر﴾ وقد وافق الزمخشري على ذلك فيما تقدم، فهذا أوّل النعوت وأعظمها، وأما قوله: ﴿ذي قوّة﴾ فليس محل الخلاف، إذ لا نزاع في أن لجبريل عليه السلام فضل القوّة الجسمية، ومن يقتلع المدائن بريشة من جناحه لا مراء في فضل قوّته على قوّة البشر، وقد قيل هذا في تفسير قوله: ﴿ذو مرّة فاستوى﴾ وقوله: ﴿عند ذي العرش مكين، مطاع﴾ ثم فقد ثبت طاعة الملائكة أيضاً لنبينا ﷺ، وورد أنّ جبريل عليه السلام قال للنبي ﷺ: إنّ الله يقرئك السلام، وقد أمر ملك الجبال أن يطيعك عندما آذنه قريش فسلم عليه الملك وقال: إن أمرتني أن أطبق عليهم الأخشبين فعلت، فصبر النبي ﷺ واحتسب، وأعظم من ذلك وأشرف مقامه المحمود في الشفاعة الكبرى، يوم لا يتقدمه أحد إذ يقول الله تعالى له: ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل= = تعطه واشفع تشفع، وأما أمين فقد قال وهو الصادق المصدوق: والله إني لأمين في الأرض أمين في السماء، وحسبك قوله: ﴿وما هو على الغيب بضنين﴾ إن قرأته بالظاء فمعناه: أنه ﷺ أمين على الغيب غير متهم، وإن قرأته بالضاد رجع إلى الكرم، فكيف يذهب إلى التفضيل بالنعوت المشتركة بين الفاضل والمفضول سواء، وما لي مباحثة في أصل المسألة، ولكن الردّ عليه في خطئه على كل قول بتعين، وإلا فالمسألة في غير هذا الكتاب، فنسأل الله أن يثبتنا على الإيمان به وملائكته وكتبه ورسله، وعلى القول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وأن يعمر قلوبنا بحبهم، وأن يجعل توسلنا إليه بهم، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

(1) سورة التكوير، الآية: 19.

(2) ذكره الثعلبي وابن مردويه والواحدي في تفاسيرهم، زيلعي 4/ 164.